الموحدون الدرّوز وإشكالية الهوية

أ.د/عادل بشير الصاري*

يُشكّل الموحدون الدرّوز لوناً من ألوان الطيف الاجتماعي والديني، في عدد من الدول العربية، ومنها: سوريا، ولبنان، وفلسطين، والأردن، ولهم تجمعات قليلة في عدد من البلدان الآسيوية والأوروبية والقارة الأميركية، وهم في هذه البلدان مجتمعة أقلية، لا يتجاوز عددهم الإجمالي المليون نسمة على أكثر تقدير.

ومن الثابت تاريخياً أن ظهور طائفة الموحدّين الدرّوز بوصفها طائفة تنفرد عن باقي الطوائف الإسلامية بمفهوم خاص للعقيدة والشريعة، كان في عهد الخليفة الفاطمي السادس: الحاكم بأمر الله أبي علي المنصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي، حيث انشقوا عقائدياً عن الفرقة الإسماعيلية، ويرجع أكثر المؤرخين اسمهم إلى محمد بن إسماعيل الدرزي، لكنهم لا يحبذون نسبتهم إليه، بل إنهم يفضلون تسميتهم بالموحدّين؛ لكونهم يؤمنون بعقيدة التوحيد، ويحبذون كذلك تسميتهم بـ(بني معروف)، نسبة - كما يبدو- إلى حبهم لعمل المعروف والإحسان⁽¹⁾.

والواقع أن الكتابة عن الموحدّين الدرّوز لم تكن -حتى وقت قريب- أمراً يسيراً وممكناً، فالكتب التي تناول أصولهم وعقيدتهم كانت ضئيلة ونادرة، ولا تقدّم معلومات دقيقة وشفافية، يمكن الاطمئنان إليها والاعتماد عليها، إلى جانب هذا فإنّ المستنيرين من مفكرهم وزعمائهم وشيوخهم كانوا غالباً ما يلتزمون الصمت، ويتوجسون شكاً وريبة من يتطلع إلى معرفة أي شيء يتصل بهم وبعقيدتهم، وبخاصة حين يكون السائل غير درزي، ولا غرو في هذا؛ فالقوم قد تعرضوا على مدى تاريخهم لكثير من الأذى من قبل مخالفيهم في الدين، فاضطروا إلى التقية والتزام الصمت والحذر من الغرباء، ونتيجة لهذا فقد راجت عنهم أقاويل وتصورات ضبابية ومتباينة، حيناً بشأن أصولهم العرقية، وحيناً آخر بشأن عقيدتهم الدينية.

* أستاذ مشارك بكلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، الجامعة الأسمرية الإسلامية.

(1) يُنظر: إسلام بلا مذاهب، للدكتور مصطفى الشكعة، ص 273 - 276.

وإذا كان الجيل الماضي من مفكرهم وكتّابهم وشيوخهم قد آثروا الصمت على الكلام، ولم يأبهوا كثيراً لما كان يُكتب عن انتمائهم العرقي وديانتهم، فإن الجيل المعاصر منهم قد أدرك عاقبة الصمت والانعزال، فهض بمهمة التعريف بطائفتهم في عدد من المؤلفات التي أخذت تتزايد يوماً بعد يوم.

ولا بد لقارئ هذه المؤلفات أن يلحظ - بيسر- تراجع حدة الجدل بشأن الهوية العرقية؛ لأنّ ثمة شبهة إجماع بين المؤرخين والكتّاب على أن الموحدّين الدرّوز ينحدرون من أصول عربية، لكن جدل الهوية الدينية لا يزال يستأثر باهتمام الكتّاب والمراجع الدينية الدرزية، ومن المؤسف حقاً القول: إن هذا الجدل لم ينته بعد إلى رأي قاطع بين الفرقاء، فالتخبط والحيرة في تحديد معالم الهوية الدينية للقوم لا يزالان قائمين إلى اليوم، إذ لم يستطع المتحاورون الإجابة الشافية عن الأسئلة القديمة المتجددة، التي تبرز كلها ذكر الدرّوز والدرزية: هل الدرزية ديانة مستقلة؟، أو هي مذهب إسلامي، شأنها شأن المذاهب الفقهية الإسلامية الأخرى؟، أو هي طريقة من طرق التصوف؟، أم مدرسة فلسفية؟.

جدل الأصول العرقية:

إن الرأي الراجح بشأن أصل الموحدّين الدرّوز عند أكثر المؤرخين أنهم عرب من سلالة قبائل عديدة، منها: خزاعة، وتبوخ، وقضاعة، وطبي، وتميم، ولخم، وكندة، وقد أكد الأمير شكيب أرسلان: (ت1946م)، وهو من وجهاء وأعيان الموحدّين الدرّوز في القرن الماضي أن الدرّوز: (عرب أقحاح، لا يوجد في العرب الجالين عن جزيرة العرب أصحّ عربية منهم)⁽¹⁾، واستدل الأمير على قوله هذا بأدلة مختلفة، منها نقاوة عربيتهم، وفصاحتهم، واحتفاظهم بشجرة نسبهم العربي، ولم ينف الأمير أن بضع عائلات درزية تعود أصولها إلى الكرد والأترک، لكن عددها قليل جداً، وهي معروفة لدى عامة الدرّوز⁽²⁾.

1 - بنو معروف أهل العروبة والإسلام، للدكتور سعود المولى، ص 71.

2 - ينظر: المصدر نفسه، ص 73.

غير أن بعض المؤرخين ذهبوا بعيداً في تقديراتهم؛ فنسبوا الدرّوز إلى أمم شتى، كالمغول والفرس والهنود والأرمن والفنّيقين والكلدان والآراميين، بل إن منهم من أرجعهم إلى أصول فرنسية أو انكليزية توطنت المشرق العربي بعد الحروب الصليبية، وثمة من رأى أنهم من بقايا الإسرائيليين، الذين لم يلتحقوا بالنبي موسى — عليه السلام — حين همّ بالخروج من مصر، وفي رأينا أن مثل هذه التخمينات والفروض قصد بها مروجوها الدس والوقیعة بين الموحدین الدرّوز، ومحيطهم العربي والإسلامي⁽¹⁾.

على أن ما ذهب إليه الزعيم الدرّزي كمال جنبلاط: (ت1977م) قد فاق أي تصور ممكن، وحطّم فروض جميع المؤرخين وتخميناتهم على اختلاف مشاربهم، فقد تبني ما تردد في أحد الكتب الدرّزية القديمة رأياً مفاده: أن الدرّوز وجدوا منذ ثلاثمائة وثلاث وأربعين مليون سنة، حين كانت أرواح المخلوقات بلا أجساد⁽²⁾، وهذا القول لا يخلو من طرافة وغرابة، فليست هناك أمة من الأمم ولا طائفة من البشر، تزعم أن وجودها على سطح الأرض يعود إلى ما قبل اكتمال نشأة الخلق.

لقد استقى جنبلاط هذا الرأي الغريب مما جاء في إحدى رسائل الحكمة التي تحظى بمكانة كبيرة عند الموحدین الدرّوز، ففي هذه الرسالة زعم كاتبها أن الله ظهر لخلقه في اثنين وسبعين دوراً، أولها وأطولها دور العلي الأعلى، الذي يبلغ زمنه ثلاثمائة وثلاث وأربعين مليون سنة، وخلال هذه المدة الطويلة خلق الله العقل، وآدم والملائكة وسائر المخلوقات⁽³⁾.

والحق أن المرء ليحار كيف تبدت مثل هذه الأفكار لذي عقل؟، وكيف صدقها من قرأها؟ فهل الله سبحانه وتعالى أطلع كاتب الرسالة هذا وحده على الأدوار التي مرّ بها خلق الكون؟ فله ما أعجب الإنسان حين يتخلى عن عقله، ويركن إلى مخيلته؛ ليستدعي منها كل ما هو غريب ومنكر.

1- ينظر: أصل الموحدین، الدرّوز وأصولهم، لأمين محمد طليح، ص 17، وإسلام بلا مذاهب، ص 274، ويُنظر:

الدرّوز في سوريا، نشأتهم، تطوّرهم، تعدادهم، لسمير عبده، ص 13.

2- ينظر: إسلام بلا مذاهب، ص 324.

3- يُنظر: رسائل الحكمة، لحمزة بن علي، لإسماعيل التميمي، وبهاء الدين السموقي، ص 36.

الحاكم بأمر الله:

يرتبط الموحدون الدرود ارتباطاً روحياً بشخصية الخليفة الفاطمي، الحاكم بأمر الله، ولهذا الخليفة مكانة سامية مقدسة عندهم، ومع أن بعضهم من باب التقية يصفه أمام الملأ بأنه إمام مُغيَّب سيعود إلى الأرض في يوم ما؛ ليملاًها عدلاً، فإن الأمر المؤكد أن مكانة الحاكم عند معظم الدرود تتجاوز هذه المنزلة بكثير، فهم يعظمونه ويجلُّونه، حتى إنهم لينزلونه منزلة الإله، وهو ما سنبينه عند الحديث عن رسائل الحكمة.

بويح الحاكم بأمر الله للخلافة صغيراً سنة: 390هـ، وانتهى حكمه، وانتهت معه حياته بجاذ غريب، فقد خرج من قصره ذات ليلة من سنة: 411هـ، بصحبة جنديين، قاصداً صحراء الجب عند جبل المقطم؛ للاختلاء فيه كعادته، لكنه لم يعد إليه، ولم يعثر له على أثر لا هو ولا من كان معه.

وقد شغل هذا الحادث المريب لفيماً من المؤرخين والمحللين القدامى والمحدثين، فذهبوا في تأويله مذاهب شتى، أكثرها يميل إلى التأكيد أن الحاكم بأمر الله قُتل بتدبير من أخته (ست الملك)، التي استشعرت مدى نقمة المصريين على أخيها، وبخاصة بعد شيوع أمر تأليهه من قبل أعوانه والمقربين منه، فخشيت أن تؤدي نقمة الشعب إلى الثورة على القصر وضياع الخلافة الفاطمية.

على أن أكثر شيء يستوقف المرء من خلال مطالعته لسيرة الحاكم بأمر الله، هي شخصيته التي أطنب المؤرخون والمقربون منه في تقصي أحوالها، وكشف خباياها، وتفسير نوازعها، فقد صور هؤلاء الحاكم بأنه إنسان غريب الأطوار، متقلب المزاج، لم يكن سوى المدارك والملكات كغيره من البشر الطبيعيين الأسوياء؛ حتى يمكن القول بلا تحفظ إن سيرة هذا الخليفة الفاطمي تعد من أغرب السير في تاريخ الخلافة الإسلامية، بل لعلها من أغرب السير البشرية على الإطلاق.

ولولا أن المقربين منه وخلصاءه مثل حمزة بن علي الزوزني: (ت430هـ) المؤسس الحقيقي للعقيدة الدرزية، وبهاء الدين المقتنى السموقي: (ت420هـ) قد ذكراً في رسائل الحكمة بعضاً من مظاهر شذوذ وجنون الرجل، واتمسأ لها تعليقات وتسويغات لإقناع العوام بها؛ لجاز لنا اتهام المؤرخين بالتدليس والكذب على الرجل.

من يقرأ سيرة الحاكم في كتب التاريخ يكتشف أنه يقرأ سيراً مختلفة لعدد من الرجال، فقد كانت للرجل شخصيات مختلفة يظهر بها للناس، ومن أبرز الشخصيات التي ظهر بها للرعية لمدة من الزمن هي صورة الإنسان الليبرالي الواسع الأفق المتحرر من إسار التزمت والتنطع في أمور الدين، فقد أعلن في سجل له أذيع بين الناس أن حرية العقيدة مكفولة للجميع، ولا إكراه في الدين، فمن شاء الصوم فليصم، ومن شاء الإفطار فليفطر، كل على حسب استطاعته، ومن صلى صلاة الخميس (الموحدون لهم صلاة بهذا الاسم) جازله ذلك، ومن صلى التراويح (منع الحاكم لمدة أداء هذه الصلاة) لا يؤاخذ، ولا يؤاخذ كذلك من كبر أربع أو خمس تكبيرات في صلاة الجنازة، ولا شيء ينال من أذن للصلاة بحج على خير العمل أو لم يؤذن به، ... فلكل مسلم في دينه اجتهاده، ولا يستعلي مسلم على مسلم بما يعتقد⁽¹⁾.

إلى جانب هذه الشخصية الليبرالية أظهر الحاكم في شخصية الخليفة المؤمن الزاهد المنقطع لعبادة ربه، ومن مظاهر زهده وتقشفه أنه ظل سبع سنين يرسل شعره على كتفيه، ويلبس الصوف والحشن من الثياب حتى تبلى وتخلق، ولا يأكل إلا ما يقيم الأود، ومما يحكى عنه أنه كان يمضي يومه في التعبد، فإذا جن الليل ركب الحمار قاصداً صحراء الجب وجبل المقطم لأجل التأمل والتحنث، وكثيراً ما شوهده وهو يتفقد أحوال الناس في الأسواق، ويأمر برفع الضرائب والمكوس عنهم. لقد أخذ في هذه المرحلة يقرب العلماء إليه، ويحظر على النساء الخروج ليلاً، ويعاقب من يسب الصحابة ومن يمتن صناعة الخمر ويبيعها.

لكن مع هذا صدرت عنه خلال مرحلة زهده أفعال لا يمكن - في حكم العادة - أن تصدر من مؤمن زاهد، بحيث يمكن القول: إن الخليفة الزاهد ينقلب بين الحين والآخر إلى إنسان عابث مستهتر مجنون نزق شرير سفاح لا تؤمن بوائقه، فما روي عنه في هذا الشأن، أنه منع الآذان والصلاة في المساجد لمدة من الوقت، وقطع الكسوة عن الكعبة، وأمر بهدم كئاس الأقباط، ومنع قساوستهم من تعليق الصليبان

1 - يُنظر: الفصل الثامن من: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، لمحمد عبد الله عنان، ص 151، ويُنظر: أصل الموحدون، الدروز وأصولهم، ص 83.

على صدورهم، وأراد في يوم من الأيام أن يغيب هؤلاء القساوسة، فأمرهم بتعليق صلبان طول الواحد منها ذراع وعرضه ذراع، بحيث تنحني رقابهم لثقلها، وحين علم أن المصريين يُقبلون كثيراً على أكل الجرجير والملوخية وشرب الفقاع، أمر بحظر بيعها وتناولها.

ونقلت عنه كتب التاريخ أنه كان جباراً محباً لسفك الدماء، فقد قتل عدداً كبيراً من رجال دولته من الوزراء والقواد والأعيان والقضاة والعلماء والقساوسة وعامة الناس، ويبدو أن الرجل كان يتشبهى القتل، ويجد فيه متعة كبيرة، فقد رُوي عنه أنه تولى بنفسه شقّ بطن أحد جنوده، كما رُوي عنه أنه وقف يوماً عند أحد الحانوتين الذين كان يتردد عليهم، وظل يتبادل معه الحديث، ثم فجأة رماه برمح فطرحة أرضاً، ثم تناول سكيناً وذبحه، وطلب ساطوراً وفصل به رأسه، ثم طلب الماء، وأمر الناس وقاضي القضاة بتغسيله وإقامة جنازة كبيرة له والصلاة عليه.

ومن غرائب أفعاله وشنيعها - أيضاً - أنه كان يأمر قواده بالاعتقال فيما بينهم، حتى يفنوا، ويأمر عبيده وحرسه أحياناً بالقفز من فوق قصره، فيقعون ما بين قتيل ومكسور، وأحياناً يأمرهم بالكشف عن عوراتهم أمامه ثم يقتلهم، ودخل عليه الفضل بن صالح، أحد قواد جيشه، فوجده يُقطع أمعاء غلام من غلمانه، ولما ارتعب الوزير وفر من هول ما رأى، أرسل وراءه من يقتله.

وينقل المؤرخون صوراً من شذوذ الحاكم وسخيف أفعاله، فيذكرون أنه كان يلبس جبة الصوف ويركب حماراً أشهبَ يسميه القمر، ويطوف في الأسواق متفقداً التجار والعمال وأرباب الصناعات، وكان يصطحب معه في هذه الجولات عبداً أسوداً طويلاً عريضاً، يمشي في ركابه، يقال له مسعود، ومتى وجد تاجراً أو صانعاً يغش في عمله ويزيد في التسعيرة يأمر عبده مسعوداً بأن يفعل به الفاحشة في دكانه والناس ينظرون إليه، والحاكم واقف على رأسه⁽¹⁾.

1- ينظر: بين العقل والنبي، بحث في العقيدة الدرزية، لأنور ياسين، ووائل السيد، بهاء الدين سيف الدولة، ص 41 -

الدعوة الدرزية ومحنة الدرزي:

برزت الدعوة الدرزية للعلن في جامع ريدان بالقاهرة بمصر سنة: 408هـ، حيث أخذ عدد من الدعاة يدعون إلى تأليه الحاكم بأمر الله، وتذكر كتب التاريخ أن نفراً من الفلاحين والبسطاء آمنوا بالدعوة الجديدة، وليس من السهل التكهن بالدافع الذي دفع هؤلاء الدعاة إلى نشر هذه الدعوة بين شعب معظمه من المسلمين السنة، إذ ليس ثمة ما يؤكد أنها كانت من بنات أفكار الحاكم، لكنه ربما يكون أوحى بها على نحو ما، ولا يُستبعد أن بعض الدهاة من المقربين منه قد لاحظوا غرائب تصرفاته وقراراته وشدوذها، ولربما لمسوا ما فيه من نزوع إلى تضخيم شخصيته والإيحاء بأنه فوق البشر، شأنه في هذا شأن آباءه وأجداده من الخلفاء الفاطميين، الذين أشاع لهم المقربون منهم والمتملقون لهم والمخدوعون بهم من الدعاة والمتكلمين والشعراء بأن نور الله قد حل في كل واحد منهم، وتجلّى في صورة بشر خليفة يحكم الناس بالعدل.

ألم يخاطب الشاعر ابن هاني الأندلسي، جدّ الحاكم بأمر الله، الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، قائلاً له⁽¹⁾:

مَا شِئْتَ لَا مَا شَاءَتِ الْأَقْدَارُ فَاحْكُمِ فَأَنْتَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

ومن المحتمل أن يكون أولئك الدعاة الدهاة قد لمسوا من عوام وبسطاء المصريين رغبة في تفسير غرابة وشدوذ تصرفات حاكمهم؛ لذلك نفترض أن فكرة التأليه لمعت بروقها في أذهان أولئك الدهاة من المقربين، وجالت بخواطرهم لغايات في أنفسهم، فأشاعوا بين العوام أن الحاكم الذي يحكمهم ويأتي بغرائب الأفعال ليس من جنس البشر، بل هو إله تجلّى لهم في صورة بشرية، ولعل في هذا ما يكشف لكل ذي عقل

1- ديوان ابن هاني الأندلسي، ص 146.

كيف تنشأ وتشيع بين العوام والخواص على السواء الملل والنحل والعقائد الغريبة؛ حين تصادف ظروفاً مواتية، وتُرزق بدعاة أذكاء جادين، وأتباع طيعين.
وتذكر المصادر التاريخية أن أول من دعا إلى ألوهية الحاكم، هو محمد بن إسماعيل المعروف بنشتكين الدرزي، ثم تبعه عدد من الدعاة الذين ما لبثوا أن اختلفوا معه، من بينهم حمزة بن علي الزوزني، وحسن بن حيدرة الفرغاني، وإسماعيل ابن محمد التميمي⁽¹⁾.

ومنذ شيوع العقيدة الدرزية تعرض الموحّدون الدرّوز لمحن كثيرة، فما إن سمع المصريون بأن الدرزي يدعو إلى ألوهية الحاكم حتى بادروا بقتله ومن معه من المؤيدين لدعوته، واستمرت الفتنة ثلاثة أيام، ويقول يحيى بن سعيد الأنطاكي، وهو صاحب تاريخ كان معاصراً لنشأة الدعوة الدرزية: "تزايد أمر الدرزية إلى أن لعنوا آدم ونوحاً وجميع الأنبياء، ومحمداً وعلياً، وتغوطوا في المساجد، ولطخوا القبلة بالقدر، وبالوا على المصاحف"⁽²⁾.

وبعد اختفاء أو مقتل الحاكم أُجبر الموحّدون الدرّوز على الرحيل عن مصر، فيمّموا وجوههم شطر بلاد الشام، وهناك استقر بهم المقام، لكنهم لم يسلموا من مضايقة الناس، وما زاد من سوء حالهم ونقمة الناس عليهم فتوى أعلنها أحمد بن تيمية: (ت 728هـ) نصّ فيها على تكفيرهم وسائر الطوائف الباطنية كالنصيرية والإسماعيلية، وحثّ فيها على قتلهم، وسبي نساءهم، وأخذ أموالهم، ولم يكتفِ الشيخ بهذا، بل زاد بأن من شكّ في كفرهم وكفر الفرق الباطنية الأخرى، فهو كافر مثلهم، ومنذ ذلك الحين عمد الدرّوز إلى المبالغة في التستر عن عقيدتهم، وإلى التقيّة من أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى، السنية والشيعية على السواء⁽³⁾.

1 - ينظر: بين العقل والنبي، بحث في العقيدة الدرزية، 66 وما بعدها.

2 - المرجع السابق، ص 12.

3 - ينظر نص الفتوى في: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، مج: 35، ص 636 وما بعدها، ومن المفيد الإشارة إلى أن فتاوى التكفير قد طاردت الدرّوز أكثر من مرة، فقد صدرت فتوى مماثلة من قبل مفتي دمشق الشيخ عبد الرحمن علي العمادي: (ت 1808م)، ومن قبل الشيخ عبد العزيز بن باز في مجلة البحوث الإسلامية العدد: 36، وثمة فتوى منسوبة إلى مفتي الديار المصرية سنة: 1991م. ينظر: الموحّدون الدرّوز بين فتاوى ابن تيمية وفقهاء الدم، لتبني محمود السعدي، ص 9، 24، 49، على أن الدكتور أنور فؤاد أبي خزام نسب إلى رئيس لجنة الفتوى

جدل العقيدة الدرزية:

ليس من السهل الحديث عن العقيدة الدرزية؛ لأنها ليست كجميع العقائد التي تعتمد على الدعوة والتبشير، ولها أركان وطقوس عليّية، فهي عقيدة باطنية منطوقها غير مفهومها، وظاهرها غير باطنها، ذات طابع فلسفي غنوصي، تستند في أدبياتها وأحكامها على مجموعة من النظريات كنظرية الحلول والتقمص والتناسخ والتقية والرجعة، كما أنها تعتمد إلى التأويل الباطني للنص المقدس، ويمكن القول: إنها خليط عجيب من ديانات وفلسفات مختلفة، إسلامية ومسيحية وهندوسية وإغريقية، وهي خاصة بالدرّوز دون غيرهم من الأمم، فلا يجوز لغير الدرزي اعتناقها، وحتى الدرزي من عامة بني معروف لا يجوز له قراءة كتب العقيدة وأداء شعائرها إلاّ بعد أن يتخلق بأخلاق الشيوخ، ويسلك مسلك الأجاويد والعقال في التعبّد والتنسك⁽¹⁾، إلى جانب هذا، فإن قلة المؤلفات التي تشرح وتكشف بجلاء أركان العقيدة الدرزية وأسسها، والاضطراب في المعلومات التي تعرضها هذه المؤلفات يحول دون تقديم صورة واضحة عما يعتقد به بالضبط الموحدون الدرّوز.

إن كثيراً من شيوخ الموحدّين وكُتّابهم والمطلعين على كتب عقيدتهم، يصرّحون علناً بأن الدرزية إنما هي مذهب إسلامي كغيرها من المذاهب الإسلامية الأخرى، لكنهم لا ينكرون تعارضه في الأصول والفروع معها، فالشيخ محمد أبو شقرا، شيخ عقل الطائفة الدرزية في لبنان في أواخر القرن الماضي، يرفض رفضاً قاطعاً تعبير: (الدين الدرزي)، فالدرزية في رأيه مذهب إسلامي، وهو ما ذهب إليه أيضاً الدكتور: سامي مكارم وعبد الله النجار، وهما من أوائل الدرّوز الذين كتبوا عن العقيدة الدرزية⁽²⁾.

بالأزهر سنة: 1968م فتوى تعلن أن الدرّوز مسلمون، ولا يجوز نعتهم بالكفر، خوفاً من الفتنة بين الجماعة الإسلامية، ولم تتمكن من الاطلاع على هذه الفتوى. ينظر: إسلام الموحدّين، المذهب الدرزي في واقعه الإسلامي والفلسفي والتشريعي، للدكتور أنور فؤاد أبي نزام، ص 330.

1 - ينظر: إسلام الموحدّين، المذهب الدرزي في واقعه الإسلامي والفلسفي والتشريعي، ص 13.

2 - ينظر: إسلام بلا مذاهب، ص 292 وما بعدها.

كذلك يؤكّد الشيخ الدكتور: أنور فؤاد أبو خزام أحد شيوخ الموحّدين في لبنان اليوم، أن الموحّدين الدرّوز يستمدون معظم تشريعاتهم وأحوالهم الشخصية من المذهبين الشافعي والحنفي: "وفي التشريع والأحوال الشخصية يبقى الموحّدون الدرّوز في قلب الإسلام، فهم في حلب على المذهب الشافعي، وفي لبنان على المذهب الحنفي، صحيح أن هناك بعضاً من التشريعات الخاصة التي تختلف عن المذاهب الإسلامية الأربعة، لكنها قليلة جداً، ولا تتعلق بالأساس"⁽¹⁾.

لكنّ ثمة فريقاً آخر من الدرّوز ينفي تبعية العقيدة الدرزية للإسلام، ويصر على أنها ديانة استقلت عن الإسلام منذ القرن الخامس الهجري، فالزعيم كمال جنبلاط يعلن أن الدرّوز اعتنقوا اليهودية والمسيحية والإسلام، ثم تحولوا عن الإسلام إلى دين آخر مستقل يسمى: (الدين الدرزي)⁽²⁾.

ويؤكّد مؤلفو كتاب: (بين العقل والنبي) أن الدرّوز مهما حاولوا "اعتبار الدرزية مذهباً يضمه الإسلام أو ينتمي إلى الإسلام بشكل من الأشكال فهو بالحقيقة من قبل التقيّة واتقاء الخطر، الدرزية دين مستقل تمام الاستقلال، يقوم على أركان خاصة، له كتابه المقدس، وعقيدته ونظراته إلى الكون وفرائضه ومناقبيته وطقوسه وأنبياؤه، وكلها لا تمتُّ إلى الإسلام بصلة، وهذا ما لا يريد المسلمون تصديقه، ولا الدرّوز يريدون الإقرار به"⁽³⁾.

والحق أن واقع المجتمع الدرزي يؤكّد هذا الرأي، فمعظم أفراده يحيون حياة مدنية، لا تربطها لا بالإسلام ولا بغيره من الأديان صلة وثيقة، والمرء من هؤلاء يعيش عشرات السنين ويهرم ويقبر، وهو لم يؤدّ فرضاً من الفروض، ولم يعرف شيئاً له قيمة تذكر عن الإسلام، الذي يقال له بين الحين والآخر: إنّه يمثّل عقيدته وهويته الدينية، ويعترف الدكتور أنور فؤاد أبي خزام بأنّ: (غالبية الدرّوز تهاون في تطبيق

1- إسلام الموحّدين، المذهب الدرزي في واقعه الإسلامي والفلسفي والتشريعي، ص 380.

2- ينظر: إسلام بلا مذاهب، ص 324.

3- بين العقل والنبي، بحث في العقيدة الدرزية، ص 15.

الفرائض إلى درجة الإلغاء التام لها، وقد خلقت هذه المشكلة شكوكاً كثيرة حول مدى جدية الموحدّين في انتسابهم للإسلام⁽¹⁾.

ويمكن القول: إن علاقة الدرزي بالإسلام علاقة شكلية واهية، تتجلى مظاهرها في تلفظه ببعض التعبيرات الشائعة على ألسنة المسلمين مثل: (لا إله إلا الله. السلام عليكم. الحمد لله. استغفر الله. سبحان الله)، أو تعليقه صورة الكعبة المشرفة أو آية الكرسي على جدران بيته ومكتبه، وحين يعقد قرانه أو حين يقبر يقرأ الشيوخ على جثمانه آيات من القرآن الكريم.

ومع هذا فإن ثمة طائفة قليلة العدد من الدرزي تؤمن بالإسلام، وتؤدي فرائضه كما يؤديها جمهور المسلمين، وقد ذكر الدكتور: مصطفى الشكعة: "أنّ عدداً غير قليل من الدرزي يؤدي كل عام فريضة الحج، وقد وقف بعرفة عام: 1374 هـ ستة وثلاثون درزياً من قرى دمشق وحدها، والأمر كذلك فيما يتعلق بصيام رمضان صياماً صحيحاً إيماناً واحتساباً"⁽²⁾.

أركان العقيدة الدرزية عند مشيخة العقل:

نقل الدكتور: مصطفى الشكعة عن الشيخ: محمد أبو شقرا، شيخ عقل الدرزي خلاصة للعقيدة الدرزية، يمكن إيجازها في عشر نقاط⁽³⁾، هي:

1- لا إله إلا الله، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله، وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود أشخاص لهم مكانة خاصة وسامية دون غيرهم من الصحابة.

2- القرآن الكريم هو وحده مصدر التشريع عند الدرزي، أما الأحاديث والسنة فلا يؤخذ بهما في التشريع إطلاقاً.

3- الصلاة - وإن كانت خمساً - فهي ليست كصلاة جمهور المسلمين في طريقة أدائها وعدد ركعاتها، والوضوء ليس شرطاً من شروط صحة الصلاة، ما دام المصلي نظيف الثوب والجسد.

1- إسلام الموحدّين، المذهب الدرزي في واقعه الإسلامي الفلسفي والتشريعي، ص 292.

2 - إسلام بلا مذاهب، ص 329.

3 - ينظر: إسلام بلا مذاهب، ص 327 - 328.

4- الصوم هو الامتناع عن الرفث، وهذا يعني: أنه يجوز الأكل والشرب مع الصوم، ووقته هو عشرة أيام بذي الحجة تنتهي بالعيد، ومن المستحسن للدرزي صوم شهر رمضان طمعاً في مضاعفة الثواب.

5- الزكاة بمفهومها الإسلامي المعروف معطلة، ويمكن أن تؤدّى على شكل صدقات، أما الحج فهو ظاهرة وثنية شركية تتنافى مع عقيدة التوحيد.

6- يُحرّم على الدرزي التزوج بأكثر من واحدة، كما يحرمّ عليه أن يتزوج من غير الدرزية، ويحرّم على الدرزية الزواج من غير الدرزي، وإن حدث فإن الزواج باطل.

7- الطلاق يقع مرة واحدة فقط، ولا يجوز للمطلقة الدرزية أن تعود إلى زوجها حتى بعد زواجها من غيره.

8- لا يُعتدُّ في الوصية بالثلث، وتجوز بيع المالك أو كفه، وتصح لوارث أو لغيره.

9- التقمص عقيدة فلسفية، فالإنسان حين يموت وتغادر روحه جسده تحل في جسد مولود جديد، وبناء على هذا فإن عدد البشر في تصور الموحدّين الدرّوز ثابت لا يزيد ولا ينقص.

10- الإنسان مُخَيَّرٌ لا مُسَيَّرٌ، والله لا يتدخل مباشرة في تصرفات وأفعال الإنسان، فهي صغائر، لا تليق بجلاله وعظمته.

لا شك أن كثيراً مما ذكره شيخ عقل الطائفة الدرزية يتعارض تعارضاً تاماً مع المتعارف عليه بين المسلمين جميعهم على اختلاف مذاهبهم، فقوله: إن الطلاق يقع مرة واحدة، وإن الزكاة معطلة، وإن الحج ظاهرة وثنية، يتنافى مع قوله: إن القرآن الكريم هو المصدر الوحيد للتشريع عند الدرّوز؛ ذلك لأنّ النصّ القرآني كما هو معروف ينص على أن الطلاق مرتان، وعلى وجوب الصوم والزكاة والحج بطرائق وشروط معلومة.

أركان عقيدة الموحدّين في كتبهم المقدسة:

من أبرز المعوقات التي تباعد بين الموحدّين الدرّوز وعموم المسلمين على مستوى العقيدة، تلك الكتب التي يقدها شيوخهم ويحرصون على قراءتها ونسخها، ومن ثمّ الحفاظ عليها؛ حتى لا تقع بين أيدي لا تؤمن بالعقيدة الدرزية، ولعل أبرزها كتاب: (رسائل الحكمة) وكتاب: (مصحف المنفرد بذاته) وكتاب: (النقط والدوائر)، ففي هذه الكتب التي ظلت قروناً سرّاً مطويّاً، والتي اكتُشف بعضها بمحض الصدفة في خلوات

البياضة بلبنان إبّان الحرب الأهلية، تأكيداً على أن ثمة خلافاً جوهرياً بين الموحدّين الدرّوز والمسلمين حول أسس وأركان العقيدة فأركان العقيدة الدرزية تنحصر في خمسة أمور هي: (صدق اللسان، حفظ الإخوان وعدم معاشرّة رفقاء السوء، التبرؤ من عبادة العدم والبهتان (أي عبادة الأصنام)، توحيد الخالق الحاكم المنزه عن الأزواج والعدد، الرضا والتسليم بأفعال الحاكم)⁽¹⁾.

هذه الأركان الخمسة مقدّمة على العبادات، فمن صدّق بوجودها وعمل بها فهو مؤمن موحد، أما من أهملها واقتصر في ديانته على الطقوس التعبديّة من صلاة وصيام فقد جهل عقيدة التوحيد، وسلك في نظر الموحدّين مسالك المشركين، وهذا يعني: أن الدرّوز يفهمون الدين أنه معاملة، وليس مجرد طقوس روتينية يومية تؤدّي بدافع الخوف أو الرياء.

ويرى الشيخ الدكتور: أنور فؤاد أبو خزام أنّ: "تقديم الأخلاقيات والمعاملات على العبادات إنّما يعني تفضيل الأهم على المهم، وتقديم ما يحقق مصلحة عامة على ما يحقق مصلحة فردية خاصة"⁽²⁾.

وهذا التخرّيج لا يمكن أن تقبل به المراجع الإسلامية على اختلاف مذاهبها، فالعبادات في المعتقد الإسلامي مقدّمة على أي عمل، وهي التي تُشكّل وتُهدّب أخلاقيات ومعاملات المسلم، والله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾⁽³⁾.

على كل حال فإنّ العبادات تبدو عند الموحدّين الدرّوز أمراً ثانوياً، لكنها في الواقع ليست مرفوضة، فهي أمور مستحسنة ينبغي للدرزي أن يؤدّيها على طريقة الموحدّين لا على طريقة المسلمين، وقد نقل الدكتور: مصطفى الشكعة عن أحد أهم

1- ينظر: أصل الموحدّين، الدرّوز وأصولهم، ص 103 - 105.

2- مذهب التوحيد، الدرزية في مقالات عشر، لنبه محمود السعدي، ص 135.

3- سورة العنكبوت، الآية: 45.

الكتب المعتمدة عند الموحدين الدروز وهو كتاب: (النقط والدوائر) معاني هذه العبادات على هذا النحو⁽¹⁾.

1- الصلاة في اللغة: الصلوة، وفي الظاهر (يعني: عند جمهور المسلمين) معناها: الركوع والسجود، وإقامة شروطها الظاهرة، وفي الباطن: (يعني: عقيدة الباطن عند الطوائف الشيعية) معناها الاتصال بعهد علي بن أبي طالب، وفي الحقيقة (يعني عقيدة الدروز) معناها: صلة قلوبنا وقلوبكم بتوحيد مولانا جل ذكره في كل عصر وزمان، وفي الفرائض صدق اللسان.

2- الصوم في اللغة: الصمت، وفي الظاهر معناها: ترك الأكل والشرب والجماع وتعتمد القيء، وفي الباطن: ترك المفاتحة لغير إخوانهم، وفي الحقيقة: صيانة القلوب بالتوحيد، وفي الفرائض: ترك العدم والبهتان.

3- الزكاة في اللغة: الطهارة والنمو والزيادة، وفي الظاهر: زكاة الأموال، وفي الباطن: ولاية علي بن أبي طالب، وفي الحقيقة: تركية القلوب بالتوحيد، وفي الفرائض: حفظ الإخوان.

4- الحج في اللغة: القصد، وفي الظاهر معناها: المجيء إلى مكة والوقوف بعرفات، وإقامة شروطه، وفي الباطن معناها: أن البيت يدل على الناطق (النبي محمد) والحجر الأسود يدل على الأساس (علي بن أبي طالب)، وفي الحقيقة: البيت يدل على توحيد مولانا جل ذكره موضع السكنى والمأوى، وفي الفرائض: يعني البراءة من الأبالسة والطغيان.

5- الجهاد في اللغة: مخالفة الهوى، وفي الظاهر: جهاد الكفار، وفي الباطن: الجهاد للنواصب الحشوية الغاوية لهم (الحنابلة)، وفي الحقيقة: معناه الطلبة والجهاد في توحيد مولانا الحاكم جل ذكره ومعرفته، وفي الفرائض: الرضا بفعل مولانا كيفما كان.

رسائل الحكمة:

يبلغ مجموع هذه الرسائل مئة وإحدى عشرة رسالة، وهي تُعدّ عند كثير من الموحدين الدروز بمنزلة الكتاب المقدس، فيها جماع عقيدتهم، ومنها يأخذون تعاليم دينهم وآدابهم ومعاملاتهم، ويرجع تاريخها إلى القرن الخامس الهجري، وقد قام بكتابتها ثلاثة

1- ينظر: إسلام بلا مذاهب، ص 310، 311.

من أعلام الدعوة الدرزية، الأول: هو حمزة بن علي الزوزني، والثاني هو إسماعيل بن محمد ابن حامد التيمي، والثالث: هو بهاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد السموقي.

إن ما يثير انتباه قارئ هذه الرسائل هي إصرار كاتبها على إثبات ألوهية الحاكم في كثير من المواضع، وقد استندوا في دعواهم على مفهوم (التجلي) الذي يعد وفق الرؤية الفلسفية القديمة درجة من درجات الحلول، أي: حلول الذات الإلهية في الصورة البشرية، وعلى هذا فإن الحاكم في نظر القائلين بالتجلي كان يمثل الصورة الناسوتية للألوهية، وبمعنى آخر هو يمثل الإله متجلياً في صورة إنسان.

ويستدل القائلون بضرورة التجلي ومنطقيته أن الإنسان لا يمكنه أن يهتدي إلى الله ويتوجه إليه بالعبادة إلا إذا ظهر له في صورة قريبة لصورته، كالذي لم يسمع كلمة في حياته قطّ كيف يمكنه الكلام؟.

ويشرح كاتب درزي معاصر مفهوم (التجلي) مبيناً الفرق بينه وبين الاتحاد والحلول بقوله إن: "تجليّ النجّار في الطاولة لا يعني وجوده فيها، بحيث يصبح هو هي وهي هو، كذلك فإن تجلي الخالق بما خلق لا يعني وجوده الكلي في أحد مخلوقاته، بل يعني ظهوره لعبيده العارفين من حيث إنّه الخالق، الذي لا بدّ من وجوده، لا من حيث تماهيه في أحد مخلوقاته" (1).

ووفق هذه الرؤية تحدثت الرسائل عن الحاكم بأمر الله بوصفه إلهاً بشرياً، وترددت فيها عبارات من مثل: (فأمر مولانا سبحانه بقتلهم، وكان المولى جلت قدرته يخرج أنصاف الليالي إلى صحراء الجب، وكان المولى جل ذكره يركب كل يوم وليلة) (2).

ومما يلاحظ أن الرسائل الأربعة الأولى خاطبت الحاكم بأمر الله بصفته أميراً للمؤمنين، واستهلّت الكلام بالحمد لله والصلاة على النبي محمد، ففي الرسالة الأولى وعنوانها: (نسخة السجل الذي وجد معلقاً على المشاهد في غيبة مولانا الإمام الحاكم)، يقول كاتبها: (بسم الله الرحمن الرحيم، والعاقبة لمن تيقظ من وسن الغافلين، وانتقل من

1- مذهب التوحيد، الدرزية في مقالات عشر، ص 85.

2- يُنظر: رسائل الحكمة، 147/1، وما بعدها.

جهل الجاهلين، وأخلص منه اليقين... والحمد لله حمد الشاكرين، حمداً لا نفاذ لآخره أبد الآبدين، وصلى الله على سيد المرسلين محمد المبعوث بالقرآن إلى الخلق أجمعين... وقد علمت معشر الكافة أن جميع ما ورثه الله تعالى لوليه وخليفته في أرضه أمير المؤمنين سلام الله عليه من النعم الظاهرة والباطنة⁽¹⁾.

وفي الرسالة الثانية وعنوانها (السجل المنهي فيه عن الخمر) يقول الكاتب: (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أعز الإسلام بأوليائه المتقين، وخصّ حدوده لمن استحفظه من أمة دينه وأمنائه الميامين، وصلى الله على جدنا محمد خاتم النبيين، وسيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين... إن أمير المؤمنين بما قلده الله ووجّل إليه من أمور الدين والدنيا، وجعل كلمته فيها السامية العلي)⁽²⁾.

ولكن ما أن يمضي القارئ في قراءة الرسائل حتى يُفاجأ بأن الحاكم بأمر الله قد صار إلهاً معبوداً، ففي الرسالة الخامسة (ميثاق ولي الزمان) نص القسم الذي يُقسّمه الدرزي ليصبح موحّداً، وهو يبتدئ على هذا النحو: (توكلتُ على مولانا الحاكم الأحد الفرد الصمد، المنزه عن الأزواج والعدد، أقرّ فلان بن فلان إقراراً أوجهه على نفسه وأشهد به على روحه... أنه تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات كلها على جميع اختلافاتها... ومن أقر أن ليس له في السماء إله معبود، ولا في الأرض إمام موجود، إلاّ مولانا الحاكم جل ذكره، كان من الموحدين الفائزين)⁽³⁾.

وفي الرسالة العاشرة: (الغاية والنصيحة) المؤرخة سنة: (410هـ) استهل حمزة بن علي رسالته بقوله: (توكلتُ على أمير المؤمنين جل ذكره وبه أستعين في جميع الأمور، لا نستعين بغيره ولا نعبد سواه، لا في الأولين والآخرين)⁽⁴⁾.

ولكي يؤكّد حمزة بن علي ألوهية الحاكم، ويقنع بها البسطاء والدهماء، عمد إلى تبرير تصرفات سيده الشاذة وأفعاله القبيحة، التي ذكرنا جزءاً منها آنفاً بما يندى له الجبين نجلاً، فقد قال في الرسالة الحادية عشرة، وعنوانها: (كتاب فيه حقائق ما يظهر قدام

1- المصدر نفسه، 33/1.

2- رسائل الحكمة، 43/1.

3- المصدر نفسه، 58/1.

4- المصدر نفسه، 102/1.

مولانا جل ذكره من الهزل) بلغة ركيكة: (ولو نظروا إلى أفعال مولانا جلت قدرته بالعين الحقيقية، وتدبروا إشاراته بالنور الشعشعاني؛ لبانت لهم الألوهية والقدرة الأزلية والسلطان الأبدية، وتخلصوا من شبكة إبليس وجنوده الغوية، ولتصور لهم حكمة ركوب (كذا) مولانا جل ذكره وأفعاله، وعلموا حقيقتي (كذا) المحض في جده وهزله، ووقفوا على مراتب حدوده، وما تدل عليه ظواهر أموره، جل ذكره وعثر اسمه ولا معبود سواه⁽¹⁾.

من هنا أخذ كاتب الرسالة يفسر تصرفات الحاكم بأمر الله وفق هواه ومخيلته، فهو على سبيل المثال رأى في تربية شعر رأس الحاكم دليلاً على ظواهر التنزيل، ورأى لبسه للصوف دليلاً على ظواهر التأويل، وركوبه للحمير دليلاً على النطقاء أي الأنبياء، كذلك فسّر لعب الحاكم بعورات مرافقيه، أو وقوفه متفرجاً على أصحابه وهم يتقاتلون، بأنها إشارات واضحة على ألوهيته قد تخفى على الجهال⁽²⁾.

فليتأمل كل ذي بصيرة كيف تستهتر بعض عقول الدهاة والأذكاء من ذوي الأغراض والمطامع الدنيوية بعقول العوام وبسطاء الناس، فيصرون لهم الجنون والهبّل والشذوذ على أنه حكمة ودلالة ناطقة على ألوهية رجل مريض؛ لظالما تواترت عنه الأخبار أنه كان يتلذذ باللعب بعورات وزرائه وقواده.

إلى جانب هذا حاول حمزة بن علي الزوزني أن ينقض أركان الإسلام كالشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج، ففي رسالته السادسة (النقض الخفي) المؤرخة سنة: 408هـ تفسيرات باطنية عبثية لهذه الأركان⁽³⁾.

كذلك لم يسلم شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم من تقيؤات الزوزني، ففي رسالة (الغاية والنصيحة) نقرأ نقضاً لنبوّة النبي، وتشبيهه بإبليس، حيث يقول: (وقد كان لكم عبرة وتدبر بخبرين ماثورين عن صاحب الشريعة محمد حين قال: (مازج حيي دماء أمتي، فهم يؤثروني على الآباء والأمهات)، وقال إبليس نظير ذلك، حيث قال إبليس لطيف روحاني يدخل سلطانه مجاري الدم حتى يبلغ صدورهم، فإذا كان

1- رسائل الحكمة ، 116/1.

2- يُنظر: رسائل الحكمة ، 118/1، وما بعدها.

3- يُنظر: المصدر نفسه، 61/1.

صاحب الشريعة لطيفاً يمازج حبه دماء الناس ولحومهم، وإبليس لطيفاً روحانياً يمازج بقوة الحب دماء العالم ويوسوس في صدورهم، فأين الفرق بين الولي والزند، وكلاهما في القوة واحد؟، فلو ميزتم معاني الكلام وتدرتموها لبان لكم نطق الرسول من نطق إبليس(1) .

ويستطرد قائلاً: (وأتم تعلمون أن لمحمد أربعمئة سنة وعشر سنين، ولم يظهر دينه على الأديان كلها، واليهود والنصارى أكثر من المسلمين، والهند والسند والزنج والحبشة أكثر منهم، والنوبة والزغاوة - قبيلة افريقية - وأشكالهم أكثر منهم، فلو كان الرسول محمد له أديان هؤلاء الطوائف كلها لكان يجب أن يكون المسلمون أكثر العالمين، وأغلبهم في الأولين والآخريين)(2) .

ويستفيض الكاتب في الهجوم على المسلمين، إذ يصفهم بالمشركين، مشيراً إلى نص الحديث النبوي المعروف: (تفترق أمتي على اثنين وسبعين فرقة)، فيقول: "وأديان المشركين اثنان وسبعون فرقة، المسلمانية الذين أشركوا في عبادة مولانا جل ذكره"(3) . وفي الرسالة الحادية والسبعين المؤرخة سنة: (427هـ)، وعنوانها (التبيين والاستدراك) يزعم كاتبها، بهاء الدين السموقي أن القرآن الكريم ليس كلام الله، بل هو من تأليف إبليس، ويعني به نبينا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام الذي وصفه بالمسعود المفتون والمزور الملقق والمسرف الكذاب، الذي كذب على جميع الخلق.

كما نعت المسلمين بأنهم أهل خيانة وكذب في معرض سخريته من قوله - تعالى - في سورة البقرة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (4)، قال: "إنَّ الأكثر من أمته، والجسم الغفير من رؤساء شرعته ليس لأحد منهم أمانة على تأدية كلمة واحدة من العدل، أو إلى أهل الحق في تسليم

1 - رسائل الحكمة، ج1، ص 111 .

2 - رسائل الحكمة، 108/1 .

3 - المصدر نفسه، 109/1 .

4 - سورة البقرة، الآية: 143 .

حزمة من بقل، وأنهم في فهمهم للحق والحكمة أبله من الحمار والبغل، فكيف يكونوا (كذا) شهداء على الناس؟" (1).

وفي الختام : كلمة سواء:

الحق أننا اليوم لا ندري موقف عقلاء ومستنيري الموحدّين الدرّوز من مثل هذه الترهات، التي تعج بها بعض أسفارهم القديمة، وما أتينا بها لأجل شحن النفوس وإثارة النعرات، بل أتينا بها ليقيننا أنّ من بينهم رجالاً تزن جبال الشام رزانة وعقلاً وحكمة، يستطيعون - لو أخلصوا النية لله سبحانه وتعالى، وأرادوا خيراً لطائفتهم وللأمة التي يحرصون على وحدتها، وعلى توطيد انتمائهم العرقي والمذهبي إليها- أن يتبرءوا من هذه الترهات والأباطيل، التي سطرتها أياد آئمة، وعقول تائهة وصدور موتورة، وأن يتصدوا للغلاة منهم، الذين لا يزالون يتناولون على الإسلام ونبيه، ويشيعون في عدد من الكتب والمواقع الإلكترونية أنّ الدرزية ديانة مستقلة، ولا علاقة لها بالإسلام (2).

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

1 - رسائل الحكمة، 591/5.

2 - من صور تناول غلاة الدرّوز في هذه الأيام، على النبي صلى الله عليه وسلم، ما نقله مؤلفو كتاب (بين العقل والنبي) في ص 282 عن كتاب (تعليم دين التوحيد) لمؤلف درزي معاصر، قال كلاماً خطيراً يكشف بوضوح عن جهله، وفساد خلقه، ومدى حقهه عن الإسلام ونبيه، فقد أجاب من سأله عن موقف الدرّوز من النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: (إن محمداً نحن بالظاهر نقر به نبياً؛ لأجل الاستتار والمسامرة مع أمته، وفي الباطن نشهد بأنه ...، لأنّه حلّ ما لا يحلّ، وفعل جميع الفواحش).

مصادر البحث ومراجعته:

القرآن الكريم، رواية قالون عن نافع.

- 1 . إسلام الموحدين، المذهب الدرزي في واقعه الإسلامي والفلسفي والتشريعي، للدكتور أنور فؤاد أبي خزام، دار الفارابي، ط 2، 2006م.
- 2 . إسلام بلا مذاهب، للدكتور مصطفى الشكعة، دار المصرية اللبنانية، ط 13، 1997م.
- 3 . أصل الموحدين الدرّوز وأصولهم، أمين محمد طليح، دار الأندلس ومكتبة البستاني، بيروت، 1961م.
- 4 . بنو معروف أهل العروبة والإسلام، للدكتور سعود المولى، المجلس الدرزي للبحوث والإينماء، دار العودة ، بيروت، ط 1، 1990م.
- 5 . بين العقل والنبي، بحث في العقيدة الدرزية، أنور ياسين، وائل السيد، بهاء الدين سيف الدولة، دار لأجل المعرفة، ديار عقل، لبنان، 1985م.
- 6 . الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض ط3، 1983م.
- 7 . الدرّوز في سوريا، نشأتهم، تطورهم، تعدادهم، سمير عبده، منشورات حسن ملص، ط1، 2006م.
- 8 . ديوان ابن هانئ الأندلسي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980م.
- 9 . رسائل الحكمة، حمزة بن علي، إسماعيل التميمي، بهاء الدين السموقي، دار لأجل المعرفة، لبنان، ط7، 1986م.
- 10 . مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، الرياض، (د. ط)، 1381هـ.
- 11 . مذهب التوحيد، الدرزية في مقالات عشر، نبيه محمود السعدي، دار العلم بدمشق، ط1، 1993م.
- 12 . الموحدون الدرّوز بين فتاوى ابن تيمية وفقهاء الدم، لنبيه محمود السعدي، ط1، دار العلم، دمشق، 1995م.